

مميزات ومآثر الدولة الإسلامية

قبل الحديث عن الدولة العباسية بما لها أو عليها لابد أن نذكر مآثر الدولة الأموية وهي الدولة التي قامت سنة ٤١هـ، حتى ١٣٢هـ، والتي خلفت دولة الرسول ﷺ. ودولة الخلفاء الراشدين التي قامت بقيام الإسلام فوق جزء بسيط من شبه الجزيرة العربية، ولكنها ما لبثت أن امتدت واتسعت وبخاصة أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم الوليد بن عبد الملك حتى شملت أجزاء كبيرة من المشرق والمغرب هذه الدولة التي رسمت لنفسها صفحة من الفخار والمجد والعظمة فى التاريخ نظرا لكثير من الحسنات والمميزات وهى:

١ - الفتوحات الإسلامية:

يرجع الفضل لدولة الراشدين والدولة الأموية فى إقامة الفتوحات الإسلامية العظيمة حيث اتسعت حدودها شرقا إلى أواسط آسيا وغربا إلى المحيط الأطلسي، ففتحت بلاد الشام على يد خالد بن الوليد ومصر على يد عمرو بن العاص شمال أفريقيا والأندلس على يد عدد كبير من كبار قادة المسلمين أمثال عقبة بن نافع، حسان بن النعمان، وموسى بن نصير وغيرهم. . كما تم فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، ومنطقة السند فى شمال غرب الهند على يد محمد بن القاسم.

٢ - إصباغ الدولة بالصبغة العربية:

انتشر العرب خارج شبه الجزيرة العربية فى البلاد المفتوحة فصبغوا تلك البلاد بالصبغة العربية لكثرة القبائل التى هاجرت إليها بعاداتها وتقاليدها، خاصة بعد أن اهتمت الأموية بالعرب.

٣ - التعريب:

من المعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب قد ترك إدارة البلاد المفتوحة فى يد أهلها رغم عدم دخولهم فى الإسلام لأنهم أعلم الناس بها، كما أبقي على تحرير

وكتابة الدواوين بلغة أهلها فديوان الشام كتب بالرومانية وديوان العراق وفارس بالفارسية وديوان مصر بالقبطية، ولكن عبد الملك بن مروان أمر بتعريب الدواوين والعملة وجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة مما أدى إلى تقوية الحكم العربى، وانتشار اللغة العربية.

٤ - تدوين الحديث النبوى الشريف:

حيث بدأ الاهتمام بكتابة السيرة النبوية والحديث النبوى الذى يعد المصدر الثانى للعقيدة الإسلامية بعد القرآن على يد رجال من أعظم علماء المسلمين، فقد أمر عمر بن عبد العزيز بجمع الأحاديث وتدوينها ودراستها وتفسيرها مما أدى إلى انتشار اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب.

ولكن ما هى الأسباب التى عجلت بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية؟

العوامل التى عجلت بسقوط الدولة الأموية ونجاح وقيام الدعوة العباسية

هى:

١ - الحالة الاجتماعية للموالى وظلم بعض خلفاء وولاة بنى أمية

لهم:

الموالى هم المسلمون من غير العرب من الفرس والروم والحشب والأتراك والمصريين وغيرهم من الذين دخلوا فى الإسلام، وعندما تغلب العرب عليهم ارتفعت نفسية العرب خاصة فى العصر الأموى وتملكهم شعور بالسيادة وأخذوا يشعرون أن العربى خلق ليسود، وخلق غيره لىخدم، وتتمثل نظريتهم فى قول أحدهم عن الموالى (يكسحون طرقتنا ويخرزون خفافنا ويحيكون ثيابنا).

واعتقد العرب أنهم هم الأشراف، وأن غيرهم لا حساب لهم حتى بعد إسلامهم إلا بعد أن يلحقوا ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لهم لأنهم كانوا ينظرون إلى الموالى على أنه عبد، ولم يحتقر العرب الموالى لجنسهم فقط بل لمهنتهم، فالعرب يحترفون السياسة والحكم والحرب، بينما يشغل الموالى بالمهن

اليديوية كالزراعة والصناعة، وكان بعض خلفاء وولاة الدولة الأموية قد زادوا في ظلم الموالي فاستخدموهم في الأعمال الكتابية وأبعدوهم عن الوظائف النبيلة، فلما ولى سعيد بن جبير القضاء بالكوفة غضب العرب وقالوا لا يصلح للقضاء إلا عربى. وكان سعيد رضى الله عنه من الموالي وكانوا يستخدمون في الحروب مشاة، وحرموهم من ثمرات البلاد المفتوحة، وحرموهم من العطاء، ومنحوهم الشيء القليل من الغنائم والفىء.

وكان الموالي محتقرين في المجتمع، فلا يخاطبهم العرب بالكنية أو اللقب، وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة (حمار أو كلب أو مولى)، بل أبقوا الجزية على من أسلم منهم، ومنع عمر بن العزيز ذلك عندما قال أن الله قد بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا.

كما منع العرب التزاوج مع الموالي فقد جلد وإلى المدينة الأموى مولى تزوج من بن سليم وفرق بينه وبين زوجته وضربه مائتى جلدة، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه وقد امتد احتقارهم إلى أولاد الإماء ويسمون ابن الأمة الهجين وقالوا لا تصلح لهم العرب.

ولذلك سخط الموالي على الأمويين في خراسان ومصر وبلاد المغرب وغيرها من البلاد المفتوحة، فأنخرط الموالي في أى دعوة للمساواة التى علمها لهم الإسلام فدخلوا فيه لأنه لا يفرق بين أسود ولا أبيض ولا أعجمى إلا بالتقوى، وكان ذلك سببا في دخول أهل خراسان في الدعوة العباسية التى قامت على المساواة والعدل والإخاء.

ولكن يجب أن نقرر أن هذه النظرة كانت سائدة في الأوساط الرسمية وبين القبائل والأعراب، أما الأوساط العلمية والدينية فكانت تنظر إلى الموالي بعين المساواة.

٢ - كثرة الأحزاب في أواخر العصر الأموى:

مثل أهل السنة والشيعة الذين قرروا أن تكون الخلافة في بيت على رضى الله عنه وأولاده بالوراثة من بعده، وقال الغلاة منهم أن الأئمة معصومين،

والسبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودى، والخوارج الذين كانوا بالأمس من أشياح على بن أبى طالب، ثم خرجوا عليه بعد التحكم فى صيفين سنة ٤٠ هـ، الذين كانوا يعتقدون أن الخلافة حق لكل مسلم حر. ثم المرجئة الذين ظهروا فى دمشق والذين خالفوا الخوارج فى تكفيرهم الخلفاء الثلاثة عثمان وعلى ومعاوية ذاهبين إلى القول أن كل من أمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، وأن ذلك موكول إلى الله وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التى اقترفها، والمبادئ السياسية التى يدين بها، فهم يرجئون الحكم على إخوانهم فى الدين إلى الله وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. ثم المعتزلة أو القدرية التى تكلمت عن شروط الإمام وأطلقوا على حكامهم وفقهائهم لقب الأئمة التى كانت الشيعة تطلقه على فقهاءها. وقد انشغل خلفاء بنى أمية فى محاربة هذه الفرق والأحزاب أو تأييدها، فقد خرج الخوارج فى المشرق والمغرب وقالوا لا حكم إلا لله مما كان سببا فى زوال الدولة الأموية.

٣ - انقسام بنى أمية على أنفسهم؛

والمنافسة بينهم، وكثرة الخلافات الموجودة بين المتأخرين منهم وتطلعهم إلى الخلافة جعلهم لا يفكرون فى بنى العباس ولا فى نشاط دعوتهم، وكان أكبر همهم انصرافهم إلى مطامعهم وخلافتهم.

٤ - قصر مدة أواخر الخلفاء الأمويين فى الحكم؛

حيث لا تزيد مدة حكم الخليفة يزيد بن الوليد على ستة أشهر.

٥ - تولية العهد لأكثر من واحد؛

مما بذر بذور الشقاق والمنافسة بين أفراد البيت الأموى حتى قبل الخلافة فى عهد بنى أمية تحولت على ملك استبدادى يعتمد على نظام التوريث، وبذلك خرجوا عن حكم الدولة الإسلامية القائم على الشورى، والذى ساد طوال عهد الراشدين وكان لهذا الساسة أثرها فى ضعف الأمويين فلم يكد الأمر يتم لأحد أبناء الخليفة المتوفى حتى يعمل على إقصاء الآخر عن ولاية العهد وإحلال أحد أولاده مكانه.

٦ - العصبية القبلية فى الأمصار والجيش:

عمل رسول الله ﷺ على إزالة العصبية القبلية والشعور القبلى وإحلال الوحدة الإسلامية محلها فاجتمعت القبائل العربية تحت لواء الإسلام ودانت له بالطاعة واستمر ذلك طوال عصر الراشدين، إلا أن روح العصبية قد بعثت من جديد بعد وفاة يزيد بن معاوية حيث تفككت وحدة العرب بالشام، حينما مال بنو أمية إلى عرب الجنوب ضد الشمال، وتعتبر معركة مرج راهط سنة ٦٥هـ صراع بين عرب الشام وعرب اليمن مما أدى إلى أذكاء نار العصبية بين قبائل العرب فى خراسان التى كانت مهد الدعوة العباسية، وقد أضعفت العصبية القبلية الجيش الأموى وأذنت بزوال دولته، حيث كان الجيش خليطا من قبائل العرب.

٧ - ثورات العلويين ضد الأمويين:

قتل معظم العلويين فى كربلاء، فانتصر بنو أمية على بنو هاشم، ولكن أصبحت البقية الباقية من العلويين مقدسه، فقام المختار بن يوسف مناديا بثور آل البيت، وداعيا إلى محمد بن الحنفية فعرف أنصاره بالتوابين.

٨ - ضياع هيبة أواخر حكام بنو أمية:

فى أعين الناس بسبب تطاول بعضهم على بعض.

٩ - إخفاء أمر الدعوة العباسية:

وشخص المدعو إليه فى شعار الرضا لآل محمد دون تحديد شخص المدعو إليه هل هو علوى أم عباسى؟

١٠ - اختيار خراسان كمقر للدعوة العباسية:

لبعدها من ناحية ووجود عصبية كبيرة من الفرس الموالى الذين انضموا للدعوة، حيث كانت خراسان بركان من العصبية القبلية انفجر بفضل أعمال أبو مسلم الخراسانى.

النسب العباسي:

تنسب الدولة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، ومن صلب ولده عبد الله بن عباس جاءت سلسلة خلفاء هذه الدولة.

وعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد الرسول ﷺ بقي عقبه في كثير من أولاده ولكن العدد الأكبر كان من ولديه العباس وأبى طالب فقد ملا بنوهما السهول والأودية والأمصار الإسلامية من أقصى المغرب إلى بلاد ما وراء النهر في أواسط آسيا.

• العباس بن عبد المطلب بن هاشم:

أمه نائلة بنت جناب بن كليب إحدى قبائل ربيعة ولد قبل حادث الفيل بثلاث سنوات فهو أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

كان العباس من سادات بني هاشم وعقلائهم، وكان صديقا ووفيا لأبى سفيان بن حرب ولما جاء الإسلام كان من المخلصين لرسول الله ﷺ وإن لم يظهر مبايعته، وكان هو الذي أحكم الأمر لرسول الله ﷺ عند مبايعة الأنصار له في بيعته العقبة الثانية حين الهجرة.

ولقد خرج مع المشركين في بدر سنة ٢هـ وهو كاره ولذلك قال النبي ﷺ لأصحابه يوم بدر من لقي منكم العباس وطالبا وعقيلا ونوفلا وأبو سفيان فلا تقتلوهم فإنهم خرجوا مكرهين، بل أن العباس كان في جملة أسرى بدر ففدى نفسه، وفدى عقيلا بن أبي طالب ونوفلا بن الحارث بن عبد المطلب ثم رجع وأقام بمكة.

وكان مقامه بمكة ضرورة، فقد كان يتسمع أخبار المشركين ويكتبها لرسول الله ﷺ وكان يتقوى به المؤمنين في مكة، وكان لهم عوناً على إسلامهم، وكان قد طلب الهجرة بعد إسلامه، ولكن النبي عليه السلام كتب إليه بالبقاء في مكة فمقامه فيها (جهاد). ولكنه هاجر إلى المدينة قبيل الفتح وحضر فتح مكة في رمضان سنة ٨هـ، وكان سببا في نجات أبي سفيان بن حرب وفي تشريفه بقول رسول

الله ﷺ (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) وحضر غزوة حنين وكان له فيها بلاء حسن، ثم خرج إلى المدينة فأقام بها.

وكان رسول الله ﷺ يحبه ويكرمه، وعلى ذلك جرى الخلفاء من بعده وكانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٣٢ هـ وله ٨٨ سنة ودفن بالبقيع.

• عقبه وأولاده:

وأعقب من الولد الفضل وهو أكبر أولاده به كان يكنى وعبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وغيرهم أولادا وبناتا، وعبد الله ابنه الثانى جاء من صلبه وعقبه خلفاء الدولة العباسية.

• عبد الله بن عباس:

هو ثانى ولد العباس بن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بستين فكانت سنة حين وفاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة، وكان المصطفى عليه السلام يحبه ودعا له فقال: "اللهم علمه التأويل" فكان رضى الله عنه أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه فى الدين، وكان عمر رضى الله عنه يحبه ويدخله مع كبار الصحابة فى مجلس شواره الخاصة ويستفتيه فى كثير من المسائل على صغر سنه وولا عثمان موسم الحج سنة ٣٥ هـ وهو محصور فقام بالحج خير قيام، ولما بويع على رضى الله عنه بالخلافة كان له عضدا وسندا ونصيرا فى حروبه كلها فولاه البصرة وأعمالها، ولكنه اعتزل الحكم ورحل إلى الطائف التى ظل بها مقيما طوال حياة معاوية كلها، وكان معاوية يحبه ويتودد إليه كثيرا كما كان يفعل مع سائر بنى هاشم، وتوفى سنة ٦٨ هـ.

ومن نسله جاء البيت العباسى لأن أخوته لم يكن لهم نسل باق، وعقبه الذى نما جاء من ولده على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم.

• على بن عبد الله بن العباس:

أمه زرعة بن مشرح من معد يكرب من كندا، ولد ليلة قتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه سنة ٤٠ هـ فسمى باسمه وكنى بكنيته أبى الحسن، وهو أصغر

أولاد أبيه، وكان سيدا وشريفا ويقال كان أجمل قرشى على وجه الأرض وأكثرهم صلاة وكان مفرطا في الطول إذا طاف فكأما الناس مشاة حوله وهو راكبا من طوله وقد أقطعه بنو أمية قرية اسمها الحميمة بالشرأة (بشرق الأردن حاليا) فأقام بها وفيها أنحاء أكثر أولاده وكانت وفاته سنة ١١٧هـ.

وأعقب على اثنين وعشرين ولدا ذكرا وإحدى عشرة أنثى. ومنهم انتشر البيت العباسي وكثر جدا وورثه ابنه محمد أكبر أبناءه الذي كانت الخلافة في أولاده.

• محمد بن علي بن العباس:

أكبر أولاد علي بن محمد عبد الله بن العباس، وهو الذي ابتدأت الدعوة العباسية على يديه، وكان ذلك في حياة أبيه علي، ولكن لم يكن لأبيه علي ذكر في هذه الدعوة.

• إبراهيم الإمام:

ابن محمد بن علي بن العباس وأخو أبو العباس السفاح أول خلفاء الدولة العباسية وأبو جعفر المنصور مؤسسها الحقيقي وهو مبدأ هذه الخلافة التي استمرت تحكم العالم الإسلامي قرابة ستة قرون من الزمان سنة ١٣٢ - ٦٥٦هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨م حتى سقطت على يد المغول.

ولكن السؤال المطروح هل طمع العباس وأولاده في الخلافة؟

رغم أنهم أقرب نسب إلى رسول الله ﷺ؟

كان العباس عند وفاة المصطفى عليه السلام، واختيار أبو بكر خليفة للمسلمين هو أسن بنو هاشم وأكبرهم، ولكنه لم يطالب بالخلافة، فقد كان دائما مؤيدا للدعوة الإسلامية. وأنه لم يحمل لها الحق مثل غيره من أعمام النبي عليه السلام كأبي لهب، بل كان خير سند لها كما مرينا.

ولم يظهر العباس طمعا في خلافة النبي عليه السلام، بل أقبل بعد موته على أخيه علي وقال له: ابسط يدك لنبايعك " فرفض على كرم الله وجهه لانشغاله بدفن النبي عليه السلام.

كان عمر ينظر إليه على أنه رأس أسرة النبي عليه السلام ففرض له فى ديوان العطاء وبدأ به ، حتى أنه كان يستعين بدعاء العباس عند انقطاع المطر .

ولم يكن عبد الله بن العباس هو الآخر طامعا فى الخلافة ، فاعتزل فتنه عثمان وأقام بمكة واهتم بجمع الحديث حتى نبغ فيه ، ورفض مبايعة بن الزبير فى مكة عند ثورته ضد الأمويين كذلك لم يسع على محمد عبد الله بن العباس إلى الخلافة وهو الذى ولد فى الليلة التى قتل فيها على كرم الله وجهه ، وقد أقام بالحميمة كما مر بنا ، ربما بأمر من الأمويين ليكون تحت رقابتهم إلى وقت وفاته فى سنة ١١٨هـ / ٧٣٦م .

ولكن كيف انقلب الأمر؟ وأصبح بنو العباس لهم دولة؟ وبمعنى آخر كيف انتقلت الدعوة إلى بنى العباس؟ وكيف قامت الدولة العباسية؟

توفى رسول الله ﷺ ولم يؤثر عنه خبر فيمن يتولى خلافة المسلمين بعده لأنه عليه السلام كان قد ترك الأمر شورى بناء على أمر الله تعالى (وشاورهم فى الأمر) (وأمرهم شورى بينهم) ، وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قد أشار على ، على كرم الله وجهه أن يدخل على رسول الله عليه السلام ، وهو مريض فيسأله عن الخلافة بعده فإن كانت فيهم وإلا أوصى بهم من سيكون الخليفة فأمتنع على رضى الله عنه .

وفى سقيفة بنى ساعده اجتمع الأنصار ليختاروا من بينهم من يخلف المصطفى عليه السلام ، ولكن ارتضى المسلمون مبايعة أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد المناظرات التى جرت بين المهاجرين والأنصار ، مع وجود فئة قليلة تميل إلى أن تكون الخلافة فى بنى هاشم رهط النبي عليه السلام الذين لم يكن منهم من أعمامه سوى العباس أسن بنى هاشم ، وابن عمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولكنه بايع أبو بكر بالخلافة وعمر وعثمان الذى توفى العباس فى عهده سنة ٣٢هـ .

وتولى على الخلافة بعد مقتل بن عفان فى الفتنة سنة ٣٥هـ ، وأمضى على رحمه الله حياته فى حروب مخالفية فى البصرة والنهروان إلى أن تم اغتياله سنة ٤٠هـ على يد أحد الخوارج فى الكوفة .

وانتقلت الخلافة إلى ابنه الحسن رضى الله عنه الذى ارتضى التنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه سنة ٤١هـ فى عام الجماعة، مفضلاً جمع كلمة المسلمين والسكن بطيبة رسول الله ﷺ، وأقام على ذلك حتى توفى سنة ٥٠هـ.

وظل معاوية يسوس الناس بما عرف عنه من لين العريكة وسخاوة اليد، فاجتمعت الأمة على طاعته والرضا به، وسكنت الدعوة إلى أهل البيت، وخبث نار التشيع إلا أنها كانت مستكينة فى أنفاس ذويها ينتظرون الوقت الملائم للهبوب.

ولكن معاوية اختار ابنه يزيد ولياً لعهد، فهب أعاصير الفتنة فى مكة والمدينة والكوفة فثار الحسين بن على فى المدينة، وعبد الله بن الزبير فى مكة طالباً الخلافة لنفسه، وثارَت المدينة تطلب عزل يزيد من ولاية العهد.

وأرسل أهل الكوفة إلى الحسين يطلبون إليه المجئ عليهم لمبايعته وينتزعوا من أعناقهم بيعة يزيد فلبى الحسين الدعوة. ولكن خذله أهل الكوفة لعادتهم وحدثت مأساة كربلاء وقتل الحسين رحمه الله.

مما ترتب عليها نتائج فى غاية الأهمية أهمها المطالبة بدمه، حيث قامت ثورات مثل ثورة المختار الثقفى الذى ذهب إلى الكوفة مطالباً بدم الحسين ولكنها فشلت واختلفت شيعة الحسن والحسين فى أمر الثأر له حتى انتقلت الدعوة منهم إلى بنى العباس.

بنو هاشم واتحاد كلمتهم للقضاء على بنى أمية؛

أثار قتل الحسين فى كربلاء حماسة المسلمين فتوحدت صفوف الشيعة وزادت دعوتهم لآل على قوة، واشتد العداء بين الأمويين والعلويين الذين أثاروا الفتنة والثورات فى الولايات الإسلامية.

وتزعم ثورات الشيعة المختار بن عبيد الله الثقفى الذى ظهر الكيسانية بعده، وهى فرقة شيعية مغالبة فى اعتقادها بإحاطة الأئمة بالعلوم الإلهية، فتذهب إلى محمد بن الحنفية قد أحاط بالعلوم كلها ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل

حتى قال بعضهم أن طاعة ذلك الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كما أبطلوا الاجتهاد في الأحكام.

ومن الكيسانية تفرغت الهاشمية القائلون بانتقال الإمامة من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم (عبد الله) إذ أن محمدا أطلع ابنه على أسرار العلوم والحكم. علمه التأويل وعلم الباطن، وقالوا أن لكل ظاهرا باطنا ولكل تنزيل تأويل، وقد ساعد تطرف الهاشمية في التأويل على تسرب كثير من الآراء غير الإسلامية إليهم وعلى دخول كل من أسلم لطمع أو خوف في صفوفهم.

ولكن الأئمة من الهاشمية تبرأوا من ادعاءات المغالين لمحمد بن الحنفية، لكن ابنه أبو هاشم الذي دفعه طموحه إلى الاستفادة من الصراع مع بنى أمية، هو أول من نظم الدعوة وشجع شعور التقديس للإمامة والآراء المتعلقة بالتأويل، وقام بأمر الشيعة حيث كانوا يأتونه ويقوم ويؤدون إليه الخراج.

انتقال حق الإمامة والدعوة إلى بنى العباس:

تذكر المصادر إلى أنه في ٩٨ هـ استدعى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (أبا هاشم بن عبد الله) وأكرم وفادته، وظهر التودد له، ولكن لما رأى الخليفة علمه وفصاحته خافه، فدس له السم في اللبن، ولما شربه أبو هاشم وأحس بدنو أجله قصد الحميمة، وكان بها (محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) فأوصى له، ودفع إليه كتبه وصرفه الشيعة نحوه - وسلم إليه كتب الدعوة، وتوفي أبو هاشم في نفس العام بعد أن أمد محمد بن علي العباس بأسماء داعي دعائه في الكوفة ومن يليه من الدعوة، كما سلمه رسائل يقدمها إليهم.

وبذلك تحول حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين بسهولة ويسر، وهنا يحس بنا أن نسأل: لماذا عدل "أبو هاشم" عن أهل بيته من العلويين وحول حقه إلى بنى عمه من العباسيين الذين كانوا حتى هذا الوقت خارجين عن النزاع العلوي الأموي؟

وللإجابة على هذا السؤال تدور فى الأسباب الآتية؟

(١) كانت العلاقة بين بنى هاشم علويين وعباسيين، تقوم على الود والصفاء حتى هذه اللحظة، وكان كلاهما متحدا على العدو المشترك وهو بنى أمية، ولم يرشح المسلمون أحدا من بنى هاشم إلا على بن أبى طالب وأولاده، ولم يتجه النظر إلى العباس إلا أنه لم يكن من السابقين إلى الإسلام، ولم يرشح للخلافة هو وأولاده من بعده، وقيل أن أبا سفيان بن حرب جاء العباس بعدبيعة أبى بكر فقال له (إسط يدك وأبايعك، فرفض العباس) فاطمئن العلويون.

(٢) اذهب الموت جيلا من العلويين حيث إن الإمام على السجاد زين العابدين قد توفى فى المدينة سنة ٩٢هـ وكان ابنه محمد الباقر وزيد لا يزالان فى أول شبابهما غير ظاهرين، على حين لم يعقب أبو هاشم عبد الله من بعده من يخلفه.

(٣) كان العباسيون فى أواخر القرن الأول الهجرى بفضل علم عبد الله بن العباس وانتشاره على يد عكرمة تلميذة الذى نشره فى المشرق، قد نالوا احترام الناس لقرباتهم من بيت الإمام على ومن "رسول الله ﷺ" كما أنهم أصبحوا أكثر كفاية ونشاطا من الناحية السياسية من العلويين، وأكثر تطلعا إلى النفوذ والسلطان.

(٤) قيل أن أبو هاشم فعل ذلك لأنه لم يجد بين أفراد البيت العلوى من يستطيع النهوض بأعباء إمامة المسلمين.

(٥) أن الناس لم يحتاجوا إلى أن يفرقوا يومئذ بين آل البيت؟ هل هم علويون أم عباسيون لأنهم نظروا إليهم جملة واحدة على أنهم كل متضامن لا ينازع أحدا منهم أحدا، وإن كانوا بيوتا مختلفة لكل بيت دوره ووجهته.

(٦) حاجة الدعوة إلى شيخ كبير مسن من آل البيت كمحمد بن على عبد الله العباس، على أن هناك مسألة جدية بالملاحظة وهى أن نزول أبى

هاشم بن محمد عن الإمامة لبنى العباس لا يمكن أن يعتبر نزولا عن العلويين جميعا، لأن فريقا كبيرا منهم ظل متمسكا بعقائد الشيعة الأمامية، بدليل قيامهم فى وجه العباسيين بثورات عارمة بعد قيام دولتهم .

وهكذا صار محمد بن على بن العباس هو شيخ الدعوة للرضا من آل محمد القادر على أن يتكلم باسمهم دون أن ينازعه أحد ويشك فى نواياه، كان من الطبيعى أن ينظر آل البيت بعين الرضا لكل تنظيم يدعو للرضا لآل محمد والذى اتخذته العودة العباسية شعارا لها .

تنظيم الدعوة العباسية:

رأى الإمام محمد بن على العباس أن نقل السلطة من بيت إلى بيت لابد أن يسبقه أعداد الأفكار وتهيئتها النفوس لهذا التغير، وأن كل محاولة فجائية قد تكون عاقبها الإخفاق، فرأى أن الأمر يحتاج إلى شدة الحيلة فطلب من شيعته أن يدعوا الناس إلى ولاية آل البيت دون تسمية أحد خوفا عليه من بنى أمية .

ولقد ورث محمد بن على الدعوة وهى أقوى الدعوات وأكثرها إيجابية وتنظيما، فمنذ أن قامت الدعوة لأبن الحنفية كانت قائمة على الستر والكتمان بإرسال الدعاة وجمع الزكاة ليوم الثوب .

ولما تسلمها المختار وأظهرها، أعلنها حرب شعواء تدعوا إلى قتل آل أبى سليمان بن عبد الملك وهدم دمشق، فلما آلت الدعوة إلى محمد بن على أبقى على إيجابيتها وجعل هدفها القضاء على دولة بنى أمية وإعلان الخلافة فى بنى هاشم وذلك بالدعوة الغامضة للرضا من آل محمد دون أن يذكر الدعاة المقصود بالدعوة أهو من فرع العلويين أم العباسيين وان كان عليهم أن يبينوا فضلها وظلم بنى أمية وإشاعة أحاديث نبوية تؤيد ذلك .

كذلك استمر محمد بن على العباس فى إرسال الرجال والدعاة وكان أبو هاشم قد طلب منه ذلك، وطلب من الدعاة الطاعة له، فأصبحت الدعوة على يديه أكثر تنظيما واسعة النطاق على أكثر دعاية كبيرة بجعله لها مجلس يشرف

عليها يتكون من اثني عشر نقيبا . وسبعون داعيا وكان الدعاة يذهبون في ذى
التجار والزهاد على أن يجتمع بهم محمد بن على في موسم الحج إذ يأتون إليه
بالمال ويأخذون منه التعليمات والأوامر .

ومهما يكن من أمر؟ فما هى الخطوات التى اتبعها العباسيون للوصول إلى
غايتهم ، أو بالأصح كيف نظم العباسيون الدعوة .

• يمكن تقسيم الدعوة العباسية إلى قسمين:

السرى - العلنى

الدعوة السرية: التى بدأت فى مستهل القرن الثانى الهجرى حتى
سنة ١٢٩هـ .

الدور العلنى للدعوة: بانضمام أبو مسلم الخراسانى لها حتى سنة ١٣٢هـ
٧٥٠م .

(١) الدعوة السرية:

يعد محمد بن على بن عبد الله العباس أول الساعين من العباسيين للوصول
إلى الخلافة، فقد بدأ بتنظيم الدعوة تنظيما سريا دقيقا وذلك بإرسال النقباء والدعاة
والعمال، يتخفون فى ذى التجار وأصحاب المصالح ويدعو الناس فى سر وكتمان،
وأرسلهم إلى الجهات البعيدة التى يكثر فيها أعداء الدولة الأموية والحاقدون على
الأمويين بسبب سياسة التمايز بين ما هو عربى ومن هو أعجمى . فاختار خراسان
لتصبح هى الأرض الملائمة لزراعة بذور الدعوة العباسية .

وهنا نطرح السؤال الآتى؟ لماذا اختار محمد بن على خراسان ولم يختار
الكوفة مقر التشيع أو البصرة وغيرها لتصبح مقرا للدعوة؟

يجيب محمد بن على العباس بنفسه على هذا السؤال فى رسالته إلى احد
دعائه فيقول: "أما الكوفة وسوادها فشيعة على، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف
تقول كونوا مع عثمان المقتول ولا تكونوا مع عثمان القاتل، وأما الجزيرة فأعراب
أعلاج، ومسلمون فى أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية

وطاعة بنى أمية، وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر، فعليكم عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة، لم تنقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل، وهو جنود لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجسام منكرة، وبعد فإنى اتطلع إلى المشرق مطلع سراج الدنيا ومصباح الحق.

وهكذا بدأت الدعوة العباسية السرية من الحميمة التي اتخذها العباسيون مركزا لنشر دعوتهم في البداية في عهد عمر بن عبد العزيز ثم وجه محمد بن على بن العباس دعائه إلى الأمصار فعين مسيرة العبدى، وبكير بن ماهان وأبو سلمه الخلال دعاة في العراق.

أما دعاة خراسان فأولهم أبو عكرمة السراج مولى بنى العباس وقد تجمع حوله خمسة نقباء، وكانوا نواة الدعوة فيها، ثم أرسل بكير من ماهان سنة ١٠٨هـ إلى خراسان وفي سنة ١١٨هـ، وأرسل بن ماهان محمد بن يزيد إلى خراسان ليرأس الدعوة فيها فبدل اسمه إلى (خداش) وسكن مرو فنجح نجاحا كبيرا، ولكنه انقلب على الدعوة فقبض عليه وقتل.

وترأس للدعوة في خراسان من بعده سليمان بن كثير الخزاعي، ثم يتوفى محمد بن على العباس في الأول، ذى القعدة سنة ١٢٥هـ، وأوصى بالإمامة لابنه إبراهيم الذى لقب الإمام، والذى أرسل بكير ماهان إلى خراسان فجمع الأتباع وأخبرهم بوصية محمد وأعطاهم رسالة إبراهيم فاعترفوا به ودفعوا له ما جمعه من الأموال للإمام. ثم عين أبو سلمه الخلال امر خراسان سنة ١٢٦هـ بعد وفاة بكر بن ماهان فانصاع الناس له.

النقباء:

يعتبر النقباء الكادر الثانى فى الدعوة العباسية، وكانوا يأترون بأمر الدعوة ولهم قدراتهم العسكرية والدعائية، ولم يكونوا يقلون عن الدعاة قيمة إنما كانوا يجهلون أمام الوقت، فقد كان العلم به سرا لا يعرفه إلا الدعاة فقط.

وكان لكل داعية اثني عشر نقيباً، وكان النقباء يتبعهم درجات أقل في مراتب الدعوة وهي العمل، وكان لكل نقيباً سبعون عاملاً يديرون الجهاز السرى ويساعدون النقباء ثم يمضى التشكيل فى عمقة إلى أن ينتهى بالخلايا السرية التى كانت تندس فى جميع الأمصار الإسلامية.

شعارات الدعاية للثورة:

لكل دعوة أو مذهب شعارات خاصة تنادى بها وتجعلها رمزا يؤمن بضرورة تحقيقه وإذا قسنا الدولة العباسية بشعاراتها وبالفوائد التى حققتها هذه الشعارات لاعتبرنا الدعوة العباسية بشعاراتها وبالفوائد التى حققتها هذه الشعارات لاعتبرنا الدعوة العباسية من أكبر الثورات فى التاريخ العالمى . لأن هذه الشعارات مهمة فى فترة التحضير لنجاح الدعوة وهى السبب المباشر لنجاح الدعوة العباسية، وبمعنى آخر لأنها ستحكم على العباسيين، هل أطلقوا الشعارات رغبة فى كسب الأنصار أم صدقوا ما وعدوا.

المساواة:

أول شعارات الدعوة المساواة بين الشعوب، وهو الشعار الذى ساهم إلى حد كبير فى نجاح الدعوة العباسية وانصف الشعوب المستعبدة. واندمجت فى ظل دولة عربية إسلامية وصارت تتطلع إلى المساواة بعد الظلم الواقع عليها من بعض خلفاء وولاه بنى أمية، وهو الشعار الذى يعنى فى حضارتنا الإسلامية الراقية عدم التفرقة بين الناس بحسب ألوانهم أو دمائهم أو تاريخهم (لا فرق بين عربى وأعجمى أو أبيض أو أسود إلا بالتقوى). وهو مبدأ أساسى فى الشريعة الإسلامية، لأنه من القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الفقهاء.

(٢) الإمامة للرضا من آل محمد

كان هذا الشعار غامض غير محدد بتجديد آخر بالنسبة لعامة الناس، أما الخاصة فهم يعرفون رؤسائهم ولم يدعون آل البيت، والعامة والخاصة معا يريدون ألا تبقى الإمامة فى أمية والشعار ينادى بضرورة نقل الخلافة عنهم واعتبارهم مغتصبين

فقد حول الدعاة والنقباء أنظار الناس إلى أن بنى أمية قد وقعوا فى الضلال والفسق وأن حكمهم (قهر وجبر وغلبة) حين حولوا الخلافة إلى ملك كما وجه آل محمد (عباس أو طالبيين) الطعن إلى ولاية بنى أمية وسموهم ولاية الجور. ولكن لم يكن أحدا يتوقع أن يكون الفائزين من آل محمد هم بنو العباس

(٣) الدعوة إلى الإصلاح؛

الإصلاح أو الدعوة إلى الكتاب والسنة كان من شعارات الدعوة العباسية العام، وهو أشمل هذه الشعارات، فالمساواة من مطالب رجال الفقه اختلاف مذاهبهم وأجناسهم

وقد كانت الدعوة مرتبطة بالتمسك بالإسلام وأصوله لإقرار العدالة، بعد أن وقعت أحداث كثيرة تركت آثار مريعة فى النفوس فى العصر الأموى مثل حصار الكعبة على يد الحجاج وانتهاك حرمة المدينة المنورة يوم الحرة ومقتل العديد من أبناء الصحابة والتابعين، وسفك دماء آل البيت فى كربلاء وسياسة الجبر والقهر والاستبداد واضطهاد المعارضة والابتعاد عن سيرة السلف الصالح وحب الترف واللهو وكثرة مظاهره، وكثرة المذاهب وتصارعها والاعتماد على العصبية مما أدى إلى تضافر الدعاة لنشر الدعوة انضموا تحت لواء أبو مسلم الخراسانى وبايعوه وقد جاءته الوفود من مدن خراسان كلها ومن القرى الصغرى ومن أهل الثغور من كرمان وكابل وخوارزم وجرجان والديلم، وأهل ما وراء النهر وأهل طخارستان بل آمن العرب بهذه الدعوة ودخلت فيها قبائل عربية مثل خزاعة وطى وبكر بن وائل وتغلب وتميم، وهكذا انتشرت الدعوة فى العالم الإسلامى كله ولكنها تركزت فى إيران بعامة وفى خراسان بخاصة.

وكانت الكوفة مركز الدعوة الأول ومقر الإمام، ولكن الدعاة كلهم كانوا موالى إيرانيين من الباعة وأصحاب الحوانيت ويعتبر خداش المؤسس الحقيقى للحزب العباسى فى مرو بخراسان قبل أبو مسلم وكان للدعاة والنقباء أساليب فى الدعوة منها:

١ - قال محمد بن على لدعائه (انطلقوا أيها النقر فأدعوا الناس فى رفق وستر) فكان الدعوة يجوبون خراسان ظاهر أمرهم التجارة ويراسلوا الإمام فى الحميمة بوساطة الكوفة، أو يجتمعون به وقت الحج .

٢ - الستر: حاول الدعوة ستر دعوتهم بكل وسيلة، فلما قبض أسد بن عبد الله القسرى الوالى الأموى على خراسان (١١٧هـ/ على جماعة منهم سليمان بن كثير الخزاعى، قال سليمان للأمير (أنا من قومك اليمانية، وأن هؤلاء المضرية تعصبوا علينا، فخلى سبيلة) وهكذا ضرب سليمان على وتر العصبية القبلية حتى يكسب ود الوالى .

٣ - التبشير فى المناطق التى كان العداء فيها للأمويين بالغاً منتهاه مثل خراسان وما وراء النهر حيث كان التذمر المالى والاجتماعى شديدا فيها .

٤ - جذب الشيعة العلويين وعدم الظهور للناس كمدعين للملك . بل كوسيلة للثورة التى يريدتها الله، فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين بل لشخص غير معين من آل البيت اتفق عليه فيما بعد وتجنبوا كل ما يبين أنهم قاموا لأخذ محل العلويين . بل أنهم أعلموا أنهم جاءوا لأخذ ثار من استشهد منهم .

ولنرجع إلى سير الدعوة السرية، فقد توسعت الدعوة وانتشرت واضطربت أحوال خراسان، واستوجبت ذلك الاتصال بالإمام مباشرة بواسطة أحد ثقاته، والسيطرة على الوضع، كما تحتم وجود رجل قوى على رأس الدعوة فكان اختيار أبو مسلم الخراسانى سنة ١٢٨هـ ليكون ممثلاً للإمام فى خراسان .

علانية الدعوة وقيام الدولة العباسية (١٢٩ - ١٢٢هـ)

هذه السنوات الأربع، فترة قصيرة زمنيا، عميقة تطورا وأحداثا بل هى من أهم السنوات فى تاريخ العباسيين، فقد خرجت الدعوة من الستر إلى العلانية، ووضحت فعاليتها وحن آوان الحكم لها أو عليها وبدأت شعارات الدعوة تمتحن صلابتها وقوتها، وقد كانت هذه السنوات الأربع حافلة بالنضال العنيف

والاشتباكات الدموية، وعمليات تصفية للأمويين ونفوذهم، وفيها ظهرت القوة الجديدة أعنى بها الفرس وسيطرتهم بدلا من العرب، وفيها تحولت الإمامة إلى خلافة، وظهر زيف شعار الدعوة للرضا من آل محمد ليحل محله الرضا من آل العباس ولكن كيف حدث ذلك لنرجع إلى الوراء قليلا؟

أبو مسلم يتزعم الدعوة العباسية فى المشرق:

كانت سنة ١٢٧هـ سنة حرجة فى تاريخ الدعوة العباسية فى الشرق، حيث تكون للشيعة بخراسان تنظيم استقل عن العباسيين وتفاقم خطره برئاسة خداهش الذى تساهل فى أمر الدين وكانت رئاسة الدعوة فى خراسان لا تريد أن تخضع لرئاسة الكوفة أو تأتمر بأمرها، وقد خشى العباسيون أن يفلت الأمر من أيديهم فى خراسان، ولكن موت محمد بن على بن العباس سنة ١٢٧هـ والذى كان يؤلف قلوب هؤلاء جميعا قد سبب نوعا من الخوف لخلفه ابنه إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام والذى بدأ يتخذ الخطوة الحاسمة للسيطرة على الموقف فى خراسان سيطرة تامة، فوضع اللبنة الأولى فى صرح الدولة العباسية، وذلك عن طريق اختياره أبى مسلم الخراسانى رئيسا ليصبح له أمر الدعوة فى خراسان.

وأصبح أبو مسلم رئيسا للدعوة، ووجدت فيه الجماعة الخراسانية أنه هو الخراسانى الذى يرضى طموحا ويحقق أحلامها وكان اختياره موقفا وقد أوصاه الإمام إبراهيم بطاعة سليمان بن كثير ولا يخالفه أو يعصيه وأن يرجع إليه، واستطاع أبو مسلم الخراسانى بما أوتى من كفايات مهارة وذكاء أن يكون الداعية العباسى فى الشرق كله أو بمعنى آخر هو العمود الفقري الذى قامت عليه الدولة العباسية فمن هو أبو مسلم الخراسانى هذا؟

يكتنف شخصية أبو مسلم الغموض، ونسبه مختلف فيه؟ فيذكر الفخرى أنه مولى ولد بأصفهان ونشأ بالكوفة وقيل انه كان حرا اسمه إبراهيم بن عثمان ويكنى أبا إسحاق، وانه ينتسب إلى برز جمهرا. ولما اتصل بإبراهيم الإمام أمره بتغيير اسمه وقال له "لا يتم الأمر إلا بذلك كما وجدته فى الكتب فسماه عبد الرحمن بن مسلم وكناه أبو مسلم وزوجة امرأة من طيء كانت تقتم مع أبيها فى خراسان.

وقيل فى سبب اتصال أبى مسلم بإبراهيم الإمام أن سليمان بن كثير أحد النقباء وغيره من النقباء تركوا خراسان سنة ١٢٤ متظاهرين بالحج إلى مكة. فلما دخلوا الكوفة أتوا إلى عاصم بن يونس العجلي، وكان قاداتهم بالدعوة العباسية. فحبسوه هو وعيسى بن إدريس ابنى معقل العجلي، وكان أبو مسلم يقوم بخدمة ابنى العجلي، ولما رأى سليمان بن كثير ومن معه أبى مسلم توسموا فيه ذكاء عقله وحسن تصرفه، وجودة ذهنه وحسن منطقته فأخذوه وقدموه للإمام.

وقد قيل أن أبى مسلم لما قوى أمره ادعى أنه من ولد سليط بن العباس وكانت لسليط هذا جاريه ادعى ابنها من ولد عبد الله بن العباس ولما مات سليط نازع ورثته فى ميراثه فسر بنو أمية ليستخذوا من ذلك سببا للحط من شأن على بن عبد الله بن العباس فأعانوه، وقضى له القاضى فى دمشق بالميراث ولما قويت شوكة أبى مسلم ادعى أنه من ولد سليط بن العباس. وكان من مناقم أبو جعفر المنصور عليه فيما بعد وسببا فى قتله على يديه.

وقيل أن أبا مسلم كان من الرقيق وأن اتصاله بينى العباس يرجع إلى بكير بن ماهان داعى العباسيين.

على أية حال فإن سنة ١٢٨هـ كان بداية تسلم أبو مسلم الخراسانى مقاليد الأمور فى خراسان، وكان من أسباب سقوط دولة بنى أمية ونجاح وقيام الدولة العباسية بتأجيج نيران العصبية بين اليمانية والقيسية وقد ظل أبو مسلم فى خراسان إلى أن كتب إبراهيم الإمام إلى أبى سلمه الخلال داعية العباسيين فى الكوفة، يعلمه أنه أرسل أبى مسلم إلى خراسان وأنه أمر أهلها بالسمع والطاعة له.

وكتب الإمام إلى مسلم كتابا يقول فيه (يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت احفظ وصيتى، انظر إلى هذا الحى من اليمن، فألزمهم ولكن بين أظهرهم فإن الله ليتم هذا الأمر إلا بهم وأنهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فأنهم العدو القريب الدار فأقتل من شككت فى أمره، ومن كان فى أمره شبهة ومن وقع فى نفسك منه شىء، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان لسانا عربيا أو أحد يتكلم العربية فافعل، فأى غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله لا تخالف هذا الشيخ (يعنى سليمان بن كثير) ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكتفى به منى).

ويقال أن هذا الكتاب وصل إلى أبي مسلم، ففعل ما قاله الإمام، وظل الإمام يرأسه بمثل هذا الكتاب حتى وقع أحدها في يد مروان بن محمد ١٢٨ - ١٣٢ هـ آخر خلفاء الدولة الأموية فقبض على إبراهيم الإمام فسجنه وحبسه وقتله. وبذلك انكشف أمر الدعوة فأعلنها أبو العباس عبد الله بن الإمام إبراهيم سريه والتي انتقلت إليه الإمامة في الكوفة واختفى مدة أربعين يوما ثم ظهر مطالباً بالإمامة واعتمد على أبي مسلم اعتماداً كلياً.

وقد نجح أبو مسلم في دعوته، فقد (وافه في يوم واحد. أهل ستين قرية) بل إجابة جميع أهل خراسان مستغلاً العصبية القبلية بين قبائل العرب ورفع أبو مسلم اللواء والراية اللذين بهما الإمام، ويدعى الأول الظل والثاني السحاب، ومعناها "أن خلفاءه العباسيون يظلون الأرض إلى آخر الدهر" وكان يتلوا قوله تعالى "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير".

واتخذ أبو مسلم السواد شعار له. فعرف جيشه بالسودة نسبة إلى شعار العباسيين الأسود حزناً على الشهداء من بني هاشم، ونعياً على بني أمية في قتلهم، كذلك أمر بأن توقد النار وتضئ المشاعل الكبيرة على قمم الجبال، فأخذ ينضم إليه أعداد كبيرة من الموالي.

انتصار العباسيين وقيام دولتهم سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

وقد ساعدت الاضطرابات التي انتشرت في خراسان في ذلك الحين أبا مسلم الخراساني على تحقيق سياسته ففي عهد هشام بن عبد الملك اشتعلت نيران العصبية القبلية في خراسان في عهد ولاية أسد بن عبد الله القسري وكان يمانيا والذين أثارهم على غيرهم من العرب واسند إليهم المناصب، ثم تولى نصر بن سيار وكان مضرباً فأقضى اليمانيين. وأثار بذلك عوامل الشقاق بين هذين العنصرين فقامت الحروب بين العرب استغلها أبو مسلم أحسن استغلالاً لصالحه.

وعرف أبو مسلم بما أوتيته من الخدق والمهارة الحربية. كيف يستفيد من ذلك الانقسام الذي فرق كلمة العرب في خراسان خاصة في أثناء الحرب بين نصيرين سيارن والكرمانى كما استطاع أن يربط بجيشه سبعة أشهر في ظاهر مدينة مرو

قاعدة خراسان، استمال خلالها اليمانية وضمهم إلى صفوفه وبذلك تمكن من الاستيلاء على تلك البلاد دون أن يعرض جيشه للهزيمة.

وقد أدرك نصر بن سيار الوالى الأموى مدى خطر الدعوة العباسية فى خراسان فأرسل إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية كتابا يكشف له فيه عن قوة أبى مسلم وضعف الجند الأموى فى خراسان، ولكن مروان تعلل بانشغاله فى حروب أخرى، فعندئذ عمت الثورة خراسان والتي انتهت بزوال الدولة الأموية.

وبدأت الدعوة العباسية فى الانتشار فدخل أبو مسلم مدن خراسان الواحدة تلو الأخرى وصارت فى يده أرض خراسان كلها وقتل الخوارج الذين اجتمعوا على قتله، فلما رأى نصر بن سيار ما فعله أبو مسلم خرج هاربا إلى نيسابور ثم إلى الرى بعد أن لحقت به جيوش أبو مسلم بقيادة الداعية قحطبة بن شبيب، حيث توفى هناك (١٣٠هـ/ ٧٤٨م)، فدانت بذلك سائر خراسان لأبى مسلم، وسك العملة بها اسم (أمين آل محمد) وعين عليها العمال.

بعد ذلك دخل الداعية قحطبة نيسابور ثم الرى ثم استولى على أصفهان وقتل عامل مروان بن محمد عليها، ثم حارب فى نهاوند وفارس وأخيرا هزم يزيد بن هبيرة عامل الأمويين على العراق وسلم عامل الكوفة المدينة إلى العباسيين فى أوائل سنة ١٣٢هـ، ودخل أبو العباس عبد الله الكوفة الذى بقى مختفيا خارجها أربعين ليلة، بعد إلقاء القبض على أخيه إبراهيم الإمام فى الحمية وقتله، فأعلن أبو سلمه الخلال وزير آل محمد الخلافة فى أبو العباس عبد الله وباع له بها فى ربيع الثانى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م وقد سمي باسم أمير المؤمنين، وكان أخوه أبو جعفر يأخذ له البيعة من الجند.

وفى واخر سنة ١٣٢هـ، خفق العلم الأسود شعار العباسيون فوق حصون دمشق، بعد أن هرب منها مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية، حيث أرسل أبو العباس خلفه عمه عبد الله بن على على رأس جيش بلغ تعداده ثلاثين ألف، فالتقى مع جيش مروان بن محمد على نهر الزاب الأعلى قرب الموصل فى معركة رهيبة استمرت يومين هزم فيها مروان بن محمد وغرق الكثير من جنده الذين بلغ عددهم ٣٠٠٠ جندي و ٣٠٠ من بنى أمية.

أبو مسلم الخراساني

اختلف المؤرخون في نسب أبي مسلم الخراساني، فقيل أنه كان حرا، واسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار، وكنيته أبو إسحاق. ولد في أصفهان، ونشأ بالكوفة حيث رحل إليها وهو ابن سبع سنوات. فلما اتصل بالإمام إبراهيم بن علي طلب إليه أن يغير اسمه، لأن أمر الدعوة لن يتم إلا بهذا كما عرفه من الكتب فسمى نفسه عبد الرحمن وتكنى بأبي مسلم وقيل أن الذي سماه بهذا الاسم هو الإمام إبراهيم وكانت حرفة أبي مسلم صناعة السروج، وكان يبيعها في أصفهان، والموصل، والجزيرة ونصيبين وآمد وغيرها.

ويقال أن أبا مسلم كان من الرقيق، وكان يخدم عيسى بن معقل العجلي وأخاه إدريس، فابتاعه بكير بن ماهان داعي العباسيين منه بأربعمائة درهم وأرسل به الإمام إبراهيم، الذي أرسله بدوره إلى أبي موسى السراج حيث سمع منه العلم وحفظ عليه، ثم سار إلى خراسان فاستقر بها، ومنها كان يتردد على الإمام إبراهيم يتلقى نصائحه وتعليماته ثم يعود. وعندما بلغ أبو مسلم التاسعة عشرة توجه الإمام إبراهيم بابنة عمران بن إسماعيل الطائي المعروف بأبي النجم، وكانت بخراسان مع أبيها. ومكث عند الإمام إبراهيم يقوم على خدمته، ويرسله من حين إلى آخر إلى خراسان ليتصل بمن يثق بهم من عصبته من الخراسانيين حتى وثق الإمام إبراهيم به، وتأكد من أنه هو الشخصية التي يعتمد عليها في دعوته، فزوده بتعليماته ونصائحه ووجهه سنة ١٢٨هـ إلى خراسان للاستقرار بها، والاستعداد لنشر الدعوة فيها.

وفي سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م بعث الإمام إبراهيم بكتاب إلى أبي مسلم وبكتاب آخر إلى سليمان بن كثير الخزاعي فوصل الكتابان إلى أبي مسلم وهو في مدينة قومن أثناء مسيره إلى الإمام إبراهيم. وكان مضمون الكتاب الموجه إلى أبي مسلم "أنى قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث ألقاك كتابي، وأبعث إلى قحطبة بما معك من أخبار يوافني بها في الموسم" فعاد أبو مسلم ومن معه من الدعاة وتوجهوا إلى خراسان فوصلوا عاصمتها مرو ليسلم الكتاب الثاني إلى سليمان بن كثير، فلما قرأه سليمان وجد تعليمات الإمام إبراهيم بأن يظهر الدعوة

ولا يتأخر فى إظهارها، ففعلوا ما أمروا به ولبسوا السواد شعار العباسيين، ورفعوا الرايات، فاجتمعت عليهم أهالى قرية سفيدنج التى نزل عليها أبو مسلم، وأهالى القرى المحيطة بها وتم ذلك فى الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٢٩هـ، ثم ما لبث أن تقاطر عليه الدعاة فى جموع هائلة ممن انتظموا فى الدعوة العباسية.

مارس أبو مسلم نشاطه كزعيم للخراسانيين وحين قوى أمره وصلب عوده وأصبحت له العصية من الخراسانيين استغل حديثا كان قد وجهه إليه الإمام إبراهيم حيث قال له: "يا عبد الرحمن: إنك رجل منا أهل البيت" فادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس وشجعه على ذلك أن سليط هذا كانت له جارية ادعى ابنها أنه من ولد عبد الله بن عباس ولما توفى سليط نازع ابن الجارية ورثته فى الميراث ففرح بنوا أمية، واتخذوا من هذا الموضوع وسيلة وسببا للتعريض بعلى ابن عبد الله بن عباس والخط من شأنه، وساعدوا ابن الجارية حتى قضى له قاضى دمشق بالميراث. ويبدو لى أن أبا مسلم من انتسابه إلى العباسيين أن يصفى على نفسه أصلا عربيا ويلحق نفسه بالنسب النبوى الشريف، حتى يكسب نفسه الشرعية الواجبة فى الحكم والخلافة، التى كان يطمع فى الوصول إليها، خاصة بعد أن قوى نفوذه، وازداد سلطانه وأصبحت له الكلمة الأولى والأخيرة فى خراسان فاستغل التعبير الذى كان قد قاله الإمام إبراهيم له (أنك رجل منا أهل البيت) وزعم لنفسه هذا النسب.

يرى بعض المؤرخون أن هذه الرواية التاريخية موضوعة، لأنه لا شك فى أن أبا مسلم مولى فارسى الأصل، كانت مهمته العمل على إسقاط الدول العربية (الأموية) وإحياء الدولة الفارسية فى ظل العباسيين. ويستدلون على ذلك أن الخليفة العباسى أبا جعفر المنصور حينما أراد أن يتخلص من أبى مسلم أخذ يعدد عليه أمورا ارتكبتها، منها "وزعمت أنك من ولد سليط" وها يفسر لنا أن أبا مسلم اصطنع هذا النسب العربى لأغراض سياسية.

وعلى الرغم من وجهة هذا رأى، إلا أننى لا أريد مجازاة بعض المؤرخين فيها يقول من أن هذه الرواية موضوعة، وافترض أنها صحيحة، وقد قالها الإمام إبراهيم لأبى مسلم، ولكن ينبغى النظر بامعان وتفكر إلى معناها الشائع، والمناسبة

التي قيلت فيها فمعناها لا يخرج عن مضمونها المعروف، وهو أن أبا مسلم أصبح ثقة عند الإمام إبراهيم، بعد ما أمضى لديه هذه المدة الطويلة في خدمته ولا يزال هذا التعبير شائعا في الشعوب العربية، يقوله الصديق للصديق تعبيرا عن شدة الألفة التي تربط بين الطرفين، بل يقال في كثير جدا من الأحايين للمربية أو الخادم التي أمضت مدة زمنية طويلة في بيت مخدومها للدلالة على أنها أصبحت موضع ثقة الأسرة كما لو كانت عضوا فيها.

خطة الإمام إبراهيم في القضاء على خصومه:

أخذت الدعوى العباسية في الانتشار بخراسان، وأراد الإمام إبراهيم أن يثبت أركانها ويحد من تجمعات المناهضين لها، فأرسل إلى أبي مسلم كتابا يشرح له فيه كيف يتخذ منهجه في القضاء على منافسى الدعوة العباسية حيث قال: "... انظر إلى هذا الحى من اليمن فالزمهم، واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع لسانا عربيا في خراسان فافعل، وإن أشكل عليك أمر فاكتفى به منى". والدارس لمحتويات هذا الكتاب يقف بوضوح على الحالة السياسية السيئة وتأجج نار العصبية بين المضرية واليمنية في خراسان، وسوف يعتمد أبو مسلم إلى إشعال هذه النار وتأججها حتى يتم له سقوط دولة الأمويين، ونجاح دعوة العباسيين.

فى وسط هذا الجو المشحون بالخلافات والفتن المتأججة بين اليمنية بزعامة أسد بن عبد الله القسرى، الذى كان واليا على خراسان من قبل الأمويين، والذى مال إلى اليمنية وأسند إليهم كل مناصب الولاية. فلما ولى نصر بن سيار أمر خراسان وكان مضريا عزل اليمنية واستعان بعصبته من المضرين. وكان نصر بن سيار والكرمانى على حالة من الصفاء والوفاق نظرا لأن الكرمانى قد أحسن إلى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله القسرى على خراسان لأن الكرمانى كان أشبه ما يكون برئيس المدينة فى خراسان. فلما ولى نصر بن سيار عزل الكرمانى عن منصبه لأخبار بلغته عنه، ثم أعاده، ثم عزله ثم أمر بحبسه. ولكن أتباع الكرمانى أخرجوه من سجنه عن طريق فتحة ثقبها وفروا به هارين.

موقف الكرمانى من الدعوة للعباسيين:

قوى نفوذ أبى مسلم وازداد خطره وكان موقف الكرمانى وإتباعه بالنسبة له موقفا سلبيا فهم لا يكرهون أن يتحقق ما يدعو إليه أبو مسلم من إسقاط الخليفة الأموى مروان بن محمد من الخلافة. فرمما عاد عليهم هذا الأمر بأحسن مما هم فيه. وفى هذه الأثناء حاول نصر بن سيار أن ينضم إليه شيبان الحرورى الساعد الأيمن للكرمانى، ولكنه أخفق فى مسعاه. وكان أبو مسلم قد أرسل النضر بن نعيم الضبى - أحد أعوانه - إلى مدينة هراة، وكان عليها عيسى بن عقيل الليثى عاملا لنصر بن سيار، فطرده منها، وخرج عيسى مهزوما وتوجه إلى نصر بن سيار وأخبره.

خشى أتباع الكرمانى على أنفسهم أمام قوة أبى مسلم المطردة، فلجئوا إلى مصالحة نصر بن سيار وتوحدت كلمتهم للوقوف فى وجه أبى مسلم. وعلم أبو مسلم بما حدث فعمل على تفريق كلمة العرب ليسهل عليه ضربهم، والتغلب عليهم، ونجح فى أن يخرج الكرمانى وجموعا من أتباعه من الصف العربى، ويحدث فجوة كبيرة فى الاتفاق الذى تم بين نصر بن سيار والكرمانى وشيبان الحرورى، فقد أرسل أبو مسلم إلى الكرمانى من يذكره بما فعله نصر بن سيار بأبيه حيث قتله وصلبه، وقال له: "يقول لك أبو مسلم: أما تأنف أن تصالح نصرنا وقتل بالأمس أباك وصلبه، ما كنت أحسبك تجتمع مع نصر فى مسجد تصليان فيه" فألهبت الحفيظة صدر الكرمانى على نصر، فانسلخ عنه وانضم إلى أبى مسلم الخراسانى.

وهكذا استطاع أبو مسلم بمهارته، ودهائه أن يبعث هذا الانقسام ويستغله لصالحه فاستمال اليمينية إليه، لضرب كل فريق بالآخر.

ضرب أبو مسلم معسكره ظاهر مدينة مرو عاصمة خراسان وظل ثلاثة أشهر نشط فى خلالها فجذب ألوف الموالى الخراسانيين حوله، وتمكن من الاستيلاء على أجزاء من هذه البقاع دون أن يدخل فى حرب مع خصومه.

نصر بن سيار يستمد مروان:

أحس نصر بن سيار والى خراسان بمدى خطورة موقفه، وتغلغل الدعوة العباسية في البلد التي يتولى أمرها، وكان نصر آخر الولاة المخلصين للدولة الأموية، فرأى أن يطلب العون من مروان بن محمد، ويشرح له الأمور فكتب إليه قوة أبي مسلم وكثرة جنده: وتخوفه أمام هذه الحشود الهائلة، وختم كتابه بالأبيات الآتية:

أرى بين الرماد وميض جمر يوشك أن يكون له ضرام
فإن لم يطفئها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فإن النار بالعودين تذكى وأن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعري أأيقظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا نياما فقل قوموا قد حان القيام

ولكن مروان كان مشغولا بحروب الخوارج في العراق، وبإخماد بعض الفتن في الشام، فكتب إلى نصر بن سيار يقول له: "إن الحاضر يرى مالا يرى الغائب فاحسم أنت هذا الدواء ظهر عندك".

وكذلك أرسل نصر بن سيار كتابا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، وإلى العراق من قبل الأمويين، يستمد منه العون والمساعدة ولكن يزيدا كان هو الآخر مشغولا بما لديه من فتن الخوارج. ولما تأكد أبو مسلم من قوته بعد تنظيم جيوشه، وتجهيز عسكره وتحصين موقعه، أعد عدته وأرسل إلى نصر بن سيار كتابا جرح فيه مشاعره وهدده بزوال ملك الأمويين في خراسان، وكبر على نصر أن يتلقى من أبي مسلم مثل هذا الكتاب: وأراد أن يكون رده عمليا، فأرسل جيشا لمحاربتة ولكن الجيش أصيب بالهزيمة، ووقع قائده وهو مولى لنصر بن سيار، ويسمى يزيدا، وقع أسيرا بعد أن جرح فعامله أبو مسلم معاملة طيبة، ثم خيره البقاء عنده أو الذهاب إلى نصر، فاختار يزيد العودة إلى نصر، ولكن أبا مسلم أخذ عليه عهدا ألا يقول عنه إلا ما رآه حقا، وكان أبو مسلم يرى أن عودة يزيد فيها فائدة

كبيرة له ولجنوده لأنه سيرد عنهم أهل التقى والورع الذين كانوا يظنون أن أبا مسلم وجنوده من المجوس وأن حركتهم ضد الإسلام والمسلمين .

فى هذه الأثناء أرسل الإمام إبراهيم قحطبة بن شبيب إلى أبى مسلم، وعقد له لواء فلما وصل إلى أبى مسلم جعله على مقدمة الجيوش كلها، وجعل له العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له .

هزيمة نصر بن سيار:

لم يلبث أبو مسلم أن دفع الألوية السود إلى قواده، وأمرهم بالهجوم على نصر بن سيار وجيشه، واستعمل أبو مسلم دهاءه فى هذه الحرب حتى لا يفقد الكثير من جنوده فطلب من الكرمانى أن يبدأ مع عساكره بالهجوم على أن نصر بن سيار ليبرهن على صدق نواياه وإخلاصه فى انضمامه إلى أبى مسلم: ونفذ الكرمانى ما طلب منه، ولما حمى وطيس القتال واشتدت وطأته على الفريقين دخل أبو مسلم بجنوده مدينة مرو، وزحف على دار الإمارة فدخلها يوم الخميس ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠هـ/ ديسمبر سنة ٧٤٧م، وهو يتلو الآية الكريمة "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من شيعته وهذا من عدوه" . ثم أمر كلا من الفريقين بالتوقف عن القتال، ودخول معسكره .

أحس نصر بن سيار بالهزيمة السياسية والعسكرية بعد أن فشل فى توحيد كلمة العرب، وضمهم جميعا فى صفوفه للوقوف أمام خطر الموالى الجارف، فهو لم ينجح فى إيقاظ الخليفة مروان بن محمد أمام تحركات أبى مسلم ولم ينجح فى تحريك ابن هبيرة ليمد له يد العون والمساعدة، وها هو يتلقى مرارة الهزيمة أمام أتباع أبى مسلم، فكان لابد له من الفرار، ففر وليس معه إلا ولده وزوجته، وحاجبه: والحكم بن غيلة النميرى فترك زوجته وولده تميما فى قرية يقال لها النصرانية وهرب بنفسه، فوصل إلى قومس فنزلها ومنها اتجه إلى الرى فأقام بها أياما، ثم مرض مرضا شديدا فحمل إلى ساوه بالقرب من همذان حيث مات هناك ويقال أنه مات فى الطريق وهو ذاهب إلى الرى وكان فى الخامسة والثمانين من عمره .

القضاء على زعماء اليمينية:

اطمأن أبو مسلم إلى حد كبير إلى ما أحرزه من انتصار، فبدأ يتخلص من زعماء اليمينية الذين تحالفوا معه ويساعده ضد المضرية وحاربوا نصر بن سيار، قد أرسل عثمان عثمان شقيق الكرمانى إلى بلخ ليكون عاملا عليها، ثم ما لبث أن أرسل رجلا من أتباعه يقال له أبو داود قتل عثمان وأصحابه جميعا، وكذلك قام أبو مسلم الخراسانى بقتل الكرمانى بعد أن لجأ إلى مكيدة ليتخلص بها من كل أعوانه والمقربين إليه حيث تظاهر بالرضا والامتثال لمساعدتهم الفعالة، وطلب من زعيمهم الكرمانى أن يسمى له خاصته ليوليههم أعمالا ويأمر لهم بجوائز وكسوى فلما سماهم الكرمانى له قتلهم أبو مسلم ثم الكرمانى معهم.

أخذ أبو مسلم يواصل زحفه حتى دانت له خراسان كلها، ثم أرسل إلى الإمام إبراهيم كتابا يخبره فيه نبأ انتصاراته، وما أصبح عليه الوضع فى خراسان ولسوء حظ الإمام إبراهيم وقع حامل هذا الخطاب فى يد بعض أتباع الخليفة مروان الذين دسهم فى الطرقات ليقفوا على خبر الإنسان الذى يدبر هذه الفتن، وليعرفوا لصالح من تكون هذه الثورات وأحضر حامل الكتاب أمام مروان وهو مرتاع، ولكن مروان هدا من روعه، ودفع إليه مالا كثيرا، وطلب إليه أن يسلم الكتاب إلى الإمام إبراهيم وإلا يخبره بشئ مطلقا وأن يتلقى منه الرد ويأتى به إليه وفعل الرجل ذلك وتأمل مروان جواب إبراهيم إلى أبى مسلم، وكان بخط يده وفيه يأمر أبا مسلم بالاجتهاد والحيلة على عدوه: وأن يقتل من يتشكك فيه توا بخراسان... إلخ.

فكتب مروان من الجزيرة إلى عامله على دمشق الوليد بن معاوية بن عبد الملك أن يكتب إلى عامل البلقاء ليسير إلى الحميمة، ويقبض على إبراهيم بن محمد بن على، ويشد وثاقه ويبعث به إليه فى خيل كثيف، وتم فعلا ما أمر به مروان فى أول عام ١٣٢هـ، وأودع الإمام إبراهيم السجن فى حران، ولبث به حتى مات بالطاعون وقيل أنه مات مقتولا بلبن مسموم.

شعر الإمام إبراهيم بقرب نهائية على يد مروان، فعهد إلى أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد بمواصلة السير بالدعوة، وعقد له الإمامة من بعده، وأمره بالمسير إلى الكوفة وأمر أهل بيته بالمسير معه ونصحهم بالسمع والطاعة له.

سار أبو العباس وفي صحبته أخوه أبو جعفر المنصور، وأعمامه عبد الله بن محمد: وداود بن عيسى، وصالح وإسماعيل وأخوتهما من أبناء على وغيرهم، فقدموا الكوفة في صفر سنة ١٣٢هـ، ونزلوا على أبى سلمة الخلال، وهو حفص بن سليمان السبيع، القائم بأمر الدعوة لآل البيت فى الكوفة، وكان يلقب وزير آل محمد فأنزلهم أبو سلمة بدار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم فى مكان يسمى (بنى داود) وكنم أمرهم عن الناس والدعاة والقادة نحواً من الأربعين يوماً.

فى خلال هذه الفترة كانت الانتصارات التى أحرزها أبو مسلم الخراسانى قد دفعته إلى تسيير جيوشه إلى العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائى، وتمكنت هذه الجيوش من هزيمة يزيد بن عمر بن هبيرة حاكم الكوفة من قبل الأمويين ومعه القائد حوثة بن سهيل الباهلى، وكان مروان أمد بن هبيرة به. وتقهر يزيد بن هبيرة إلى جلولاء، ومنها إلى مكان فى شرق الفرات على بعد ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ووفاه حوثة فى جموع من الجند تقدر ما بين خمسة عشر ألفاً وعشرين ألفاً، وعبر قحطبة وجنوده النهر من مخاضة دلهم عليها إعرابى: ونزل فى مكان يقال له الجبارية ووزع الأرزاق على جنوده ليدفعهم إلى القتال والاستبسال فيه. وفى غسق الليل هاجم قحطبة خصمه ابن هبيرة فى ليلة التاسع من المحرم سنة ١٣٢هـ، وأصيب ابن هبيرة ومن معه بالهزيمة، واضطروا إلى الانسحاب فارين إلى واسط بينما لجأ حوثة وأتباعه إلى قصر ابن هبيرة يحتمون فيه بعد أن تركه، وفى الصباح بحث جنود خراسان عن قائدهم قحطبة بن شبيب الطائى، ولكنهم وجدوه قتيلاً على حافة جدول من الماء، فدفنوه، وولوا ابنه الحسن بن قحطبة قائداً عليهم.

حاول حوثة التصدى لجند خراسان، ولكنه فوجئ بجموع من أهل الكوفة بزعامة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى تعلن انضمامها إلى العباسيين وترفع الرايات السوداء شعارهم، فانهزم حوثة واضطر إلى الرحيل ليلحق بابن هبيرة فى واسط.

دخل الحسن بن قحطبة وجنده إلى الكوفة وأخذ يسأل عن أبى سلمة الخلال حتى دل عليه، فبايعوه بالإمارة على الكوفة، ولكنه استعمل محمد بن خالد القسرى عليها: وهكذا أصبح أبو سلمة الخلال واليا على الكوفة لمركزه وجهاده وماله الذى أنفق معظمه على الدعوة لآل البيت، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكوفة ملتقى جيوش الدعوة العباسية المنتصرة والزاحفة من خراسان، والداعية لآل البيت، ومركزا لآل البيت العباسي أنفسهم الفارين من الحميمة هربا بحياتهم، بعدما عرف الخليفة الأموي مروان سر الدعوة التى كانوا يثنونها سرا تحت ستار الرضا من آل البيت، واتجاهاتهم نحو إقامة دولة جديدة تنسب إليهم.

وصلت جيوش خراسان إلى الكوفة وهى لا تعلم عن وصول بنى العباس إليها، وعلى الرغم من المواقف العديدة لأبى سلمة الخلال فى نصرة الهاشميين ونشر دعوتهم، وتنقلاته الكثيرة إلى خراسان، والإشراف على سير الدعوة هناك، إلا أنه تصرف مع بنى العباس تصرفا غامضا حين أخفاهم عن أعين الناس ومنع الاتصال بهم: ولم يعطوهم ما طلبوه من مال قليل (مائة دينار) ليدفعوه أجرا للجمال الذى نقلهم إلى الكوفة، مما جعل جمهرة من المؤرخين يعتبرون عمله هذا تعثرا وزلة، وإن كان البعض ينظر إلى هذا العمل بأنه خيانة للعباسيين الذين اطمأنوا إليه وأسلموا له قيادهم، ويبدو لى أن الأمر اختلط عليه لأن الدعوة كانت توجه تحت شعار الرضا من آل بيت النبى، وأن أبا سلمة الخلال أراد أن يكون له فضل اختيار الخليفة من العلويين لاعتقاده فيما كانوا يقولون بأحقيتهم فى الخلافة لأنهم آل البيت النبى ﷺ.

ونتيجة لهذا الاعتقاد، ولهذا الحماس، ولهذا الحرص على أن يكون له فضل اختيار الخليفة، كتب إلى ثلاثة من كبار رجال العلويين هم: جعفر الصادق: وعبد الله بن الحسن بن على، وعمر بن زين العابدين، وكان أبو سلمة الخلال يأمل أن يستجيب له أحدهم بقبول الخلافة على يديه ولكنهم رفضوا جميعا تشككا فيه، وكان من الممكن أن يواصل أبو سلمة الخلال كتاباته إلى غيرهم حتى يستجيب له أحد الراغبين فى الخلافة من البيت العلوى، لولا أن الظروف كشفت ما أضمره حين التقى أحد قادة الجيش الخراسانى وهو أبو حميد محمد بن إبراهيم

السمرقندي بسلام اسمه سابق الخوارزمي، كان قد بعث به هدية من هؤلاء القادة إلى الإمام إبراهيم ليقوم على خدمته، وقص السلام على بن أبي حميد مقتل الإمام إبراهيم على يد مروان بن محمد، وأنه قد أوصى إلى أخيه أبي العباس واستخلفه من بعده، وأن أبا العباس قدم الكوفة مع أهل بيته، وأنه جاء معهم، وأراد أبو حميد السمرقندي أن يتأكد من هذه الأخبار، فتوجه مع هذا السلام إلى حيث يسكن العباسيون فدخل عليهم في غيبة أبي سلمة الخلال: وعزاهم في وفاة الإمام إبراهيم ثم سأل عن عبد الله بن محمد بن الحارثية، فأشاروا له على أبي العباس فسلم عليه بالخلافة، وقبل يده ورجله وبايعه، ثم خرج فأعلم زملاءه القواد المعسكرين بظاهر الكوفة، في مكان يسمى حمام أعين، فأجمعوا على الذهاب إلى أبي العباس ومبايعته، فلما عرف أبو سلمة الخلال بهذه الأخبار ذهب مسرعا مع بعض أتباعه إلى أبي العباس، ولكن القادة الخراسانيين كانوا قد سبقوه وأعطوا بيعتهم إلى أبي العباس بالخلافة، وأحاطوا به كحاشية له، وبذلك قوى مركزه، وفي هذه الأثناء وصل أبو سلمة الخلال بمن معه من الأتباع وأراد الدخول على أبي العباس فمنع من ذلك: حتى يأذن الخليفة له، ولكن أبا العباس لم يسمح له بالدخول عليه إلا منفردا، ولما دخل عنده أسمع ما يكره وأنكر بعض أصحابه عليه هذا الصنيع خاصة وأنهم كانوا يدعونه وزير آل محمد ﷺ وحاول أبو سلمة الاعتذار عما بدر منه، فقبل يد أبي العباس ورجليه وأخذ يكرر الاعتذار، وكان من الطبعي ألا يخسر أبو العباس رجلا مثل أبي سلمة كان له مواقفه في خدمة الدعوة بجهده وماله وفكره، وليس من المعقول أن يبدأ حكمه بإظهار مثل هذا الاختلاف بينه وبين وزير آل البيت فتظاهر بقبول الاعتذار، وقال له: "عذرناك يا أبا سلمة غير مفند، وحقك لدينا معظم، وسابقتك في دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة، انصرف إلى معسكرك حتى لا يدخله خلل".

والحقيقة أن أبا العباس تظاهر بهذا العفو، لأنه كان لا يزال في حاجة إلى مساعدة أبي سلمة الخلال وتأنيده، ولكنه سوف ينتهز الفرصة بعد ذلك لكي يتخلص منه فبعد ما بايعه الناس بالخلافة، واستقرت له أمورها، أراد أن يتخلص من أبي سلمة باعتباره خائنا أراد أن يبذل جهد بني العباس وآمالهم في الخلافة ولكن عمه داود بن علي راجعه في ذلك وقال له: "إن فعلت ذلك فربما استوحش

منك مسلم، والأفضل أن تكتب إليه تعرفه ما كان من أبى سلمة". فكتب أبو العباس لأبى مسلم بما حدث وختم الكتاب بقوله: "إننى قد وهبت جرمه لك" فلما قرأ أبو مسلم الكتاب فطن إلى غرض أبى العباس، فأرسل بضع نفر من أتباعه على رأسهم المزار بن أنس الضبى ليقتلوا أبا سلمة الخلال. ويبدو أن أبا العباس أراد أن ينقض يديه من هذه الفعلة فبعث من يعلم الناس فى الكوفة أن أمير المؤمنين قد رضى عن أبى سلمة الخلال، ثم دعاه قبل مقتله بيوم واحد حيث أكرمه، وسهر معه وخلع عليه، وعند انصراف أبى سلمة الخلال إلى داره فى جوف الليل اعترضه المزار الضبى ورجاله فقتلوه، ولم يدر بهم أحدا، وأشاعوا أن الخوارج قتلوا أبا سلمة، وقاموا بدفنه فى الهاشمية فى رجب سنة ١٣٢هـ.
